# الباب التاسع عشر

# في إحياء الموؤودات

روى البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله الحافظ المحدث ، المتوفى عام٢٥٦هـ، في إحدى قرى سمرقند.

قال: إن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قالت: كان زيد بن عمرو ابن نفيل يحيي المؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها.

وكان من الذين يحيون المؤودات، صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي، وكان من أشراف مجاشع في الجاهلية والإسلام، وهو أول من قام في تميم بإنقاذ بنات تميم من الوأد.

ولما ظهر الإسلام كان عنده أربعمائة بنت أخذهن من آبائهن لئلا يؤدنَ وصعصعة بن ناجية هذا : جد الفرزدق الشاعر المعروف، حيث يقول مفتخراً بجده صعصعة :

وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوليد فلم توأد

لقد كان صعصعة بن ناجية التميمي ، يسمى محيي المؤودات، وذلك أنه مرّ برجل من قومه وهو يحفر بئراً، وامرأته تبكي، فقال لها صعصعة: وما يبكيك يا هذه؟. قالت : إن هذا الرجل يريد أن يئد ابنتي هذه ، فقال له صعصعة: ما حملك على هذا؟. فقال الرجل: الفقر.

قال صعصعة بن ناجية: فإن اشتريتها منك بناقتين يتبعهما أولادهما : تعيشون بألبانهما، ولا تئد الصبية، قال الرجل أبو الصبية: قد فعلت، فأعطاه الناقتين وجملاً كان تحته فحلاً، وقال صعصعة في نفسه: إن هذه مكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فجعل نفسه لا يسمع بمؤودة إلا فداها، فجاء الإسلام وقد فدى ثلاثمائة،وقيل أربعمائة مؤودة.

وأخبر محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب،عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال: قال صعصعة بن ناجية التميمي:

خرجت باغياً ناقتين فارقتين (الفارقة التي تفترق إذا ضربها المخاض فتسير هائمة على وجهها حتى تضع حملها)، فرفعت لي نار، فسرت نحوها، وهممت بالنزول، فجعلت النار تضيء مرة وتخبو أخرى،فلم تزل تفتعل ذلك حتى قلت: اللّهم لك عليّ إن بلغتني تلك النار ألا أجد أهلها يوقدون لكربة يقدرأحد من الناس أن يفرجها إلا فرجتها عنهم، قال: فلم أسر إلا قليلاً حتى وصلتها، فإذا حي من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم، وإذا بي أرى شيخاً حادراً أشعر يوقدها في مقدم بيته، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض قد حبستهن ثلاث ليال: الحادر الأشعر: غليظ الجسم غزير الشعر، والمخاض: التي أدركها المخاض فسلمت عليه، فقال الشيخ: من أنت؟ فقلت: أنا صعصعة بن ناجية بن عقال التميمي، فقال الشيخ: مرحبا بسيدنا، ففيم أنت يا ابن أخي؟.

فقلت: في بغاء ناقتين عمي عليّ أثرهما، فقال الشيخ: قد وجدتهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك، وقد نتجناهما،وعطفت إحداهما على الأخرى، وهما تانك في أدنى الإبل.

قال صعصعة: فقلت للشيخ: ففيم توقد نارك منذ الليلة؟ قال الشيخ: أوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال، وتكلمت النساء، فقلن: جاء الولد فقال الشيخ: إن كان غلاماً فوالله ما أصنع به، وإن كانت جارية فلا اسمعن صوتها ـ أي أقتلها ـ فقلت: يا هذا ذرها فإنها ابنتك ورزقها على الله، فقال للنساء: اقتلنها.

فقلت: أنشدك الله، فقال: إني أراك بها حفيًّا فاشتريها مني، فقلت: نعم إني أشتريها منك ، فقال الشيخ : ما تعطيني؟. قلت: أعطيك إحدى ناقتين قال: لا، قلت: فأزيدك الأخرى، فنظر إلى جملي الذي تحتي، فقال الشيخ: لا إلا أن تزيدني جملك هذا ، فإني أراه حسن اللون شاب السن.

قلت: هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه، قال الشيخ: قد فعلت، فابتعتها منه بلقوحين وجمل،وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ليحسنن برها وصلتها ما عاشت، حتى تبين منه أي تتزوج أو يدركها الموت، فلما برزت من عنده ، وحدثتني نفسي، وقلت: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فآليت ألا يئد أحد بنتاً له إلا اشتريتها منه بلقوحين وجمل.

فبعث الله عزَّ وجل محمداً ﷺ، وقد أحييت أربعمائة موؤودة، ولم يشاركني في ذلك أحد من العرب، حتى أنزل الله تحريم وأد البنات في القرآن العظيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ويروى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: أمران في الجاهلية، أحدهما يبكيني،والآخر يضحكني، أما الذي يبكيني: فقد ذهبت بابنة لي لوأدها، فكنت أحفر لها الحفرة لوأدها، وهي تنفض التراب عن لحيتي ، وهي لا تدري ما أريد لها، فإذا تذكرت ذلك بكيت، وأما التي تضحكني: فقد كنت أصنع إلها من التمر أضعه عند رأسي يحرسني ليلاً، فإذا أصبحت معافى أكلته ، فإذا تذكرت ذلك ضحكت من نفسي ومن تصرفي.

## صعصعة بن ناجية مع رسول الله:

يروى عن ربيعة بن مالك بن حنظلة، عن صعصعة بن ناجية المجاشعي التميمي جد الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي قال:

قدمت على النبي ﷺ، فعرض علي الإسلام فأسلمت، وعلمني آيات من القرآن، فقلت : يا رسول الله، إني عملت أعمالاً في الجاهلية، هل لي فيها من أجر؟.

فقال النبي ﷺ: ما عملت؟. فقلت: إني أضللت ناقتين لي عشراوين : (العشراء الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر)، فخرجت أبغيها على جمل، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً، فقلت له: هل أحسست من ناقتين عشراوين؟.

فقال: وما نارهما؟ يعني ما سمتاهما، فقلت : ميسم بني دارم، فقال: قد أصبت ناقتيك، ونتجناهما، وظآرتا على أولادهما، أي عطفتا على أولادهما، ونعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مضر.

فبينما هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر: قد ولدت، فقال: وما ولدت؟ إن كان غلاماً فقد شركنا في قوتنا، وإن كانت جارية فادفنوها ، فقالت هي: جارية أفأئدها؟.

فقلت للشيخ: وما هذا المولود؟ فقال: بنت لي، فقلت له: اتق الله فرزقها على الله لا تئدها، فإني أشتريها منك؟. فقال الشيخ: يا أخا بني تميم أتقول لي: أتبيعني ابنتك وقد أخبرتك أني من العرب من مضر.

فقلت: يا شيخ : إني لا أشتري منك رقبتها، إنما اشتري منك دمها لئلا تقتلها، فقال: وبم تشتريها؟ فقلت بناقتي هاتين وولديهما، قال: لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه.

قلت: نعم، على أن ترسل معي رسولاً، فإذا بلغت أهلي رددت إليك البعير ففعل، فقلت: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب.

فظهر الإسلام وقد أحييت ثلاثمائة وستين موؤودة، اشتريت كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله ؟. فقال ﷺ: هذا باب من البر، ولك أجره إذ من الله عليك بالإسلام.

ثم قال صعصعة بن ناجية: يا رسول الله، أوصني، فقال ﷺ: أوصيك بأمك وأبيك وأخيك وأختك وإمائك، قال: زدني يا رسول الله قال ﷺ: إحفظ ما بين لحييك(كناية) عن اللسان والتكلم فيما لا يعني، وما بين رجليك (كناية) عن حفظ الفرج عن الزنى.

وفي رواية أن الرسول ﷺ سأله: ما شيء بلغني عنك فعلته؟. فقال صعصعة: يا رسول الله، رأيت الناس يموجون على غير وجه: أي على غير صواب. ولم أدر أين الوجه،غير أني علمت أنهم ليسوا على صواب. ورأيتهم يئدون بناتهم، فعلمت أن الله لم يأمرهم بذلك، فلم أتركهم يئدون،وفديت من قدرت عليه، وإني حملت حمالات في الجاهلية والإسلام، وما علي منها ألف بعير، فأديت من ذلك سبعمائة، فقال له: إن الإسلام أمر بالوفاء، ونهى عن الغدر، فقال: حسبي، حسبي ووفى بها.

## الفرزدق يفتخر بجده:

وقد كان الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة التميمي يفاخر الناس بجده صعصعة،يذكر مواقفه النبيلة ومنها إحياء الموؤودات حيث يقول:

أبي أحد الغيثين صعصعة الذي متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر

أي أن هناك غيثين: غيث في السماء وهو المطر،وغيث في الأرض وهو جده صعصعة بن ناجية، والجوزاء والدلو برجان من البروج المعروفة في السماء.

أجار بنات الوائدين ومن يجر ... على الفقر يعلم أنه غير مخفر
على حين لا تحيا البنات وإذ هم ... عكوف على الأصنام حول المدور
أنا ابن الذي رد المنية فضله ... فما حسب دافعت عنه بمعور
وفارق ليل من نساء أتت أبي ... تمارس ريحا ليلها غير مقمر
فقالت : أجر لي ما ولدت فإنني ... أتيتك من هَزْلى الحمولة مقتر
هجَفٍّ من العثو الرؤوس إذا بدت ... له ابنة عام يحطم العظم منكر
رأى الأرض منها راحة فرمى بها ... إلى خُدد منها إلى شر مَحْفِر
فقال لها فيئي فإني بذمتي ... لبنتك جار من أبيها القنوّر

(الهجف : الجافي الغليظ : ظليم هجف ، قال الشاعر الرجز):

وجفر الفحل فأضحى قد هجف ... واصفر ما اخضر من البقل وجف

وهجف الرجل إذا لحقت خاصرتاه بجنبيه من الجوع والتعب،وقيل الجافي الثقيل من الناس، أو الطويل الضخم، الذي لا غناء عنده،والعثورالرؤوس: جمع أعثى وهو الأسعر والقنور: ذو الأخلاق الشرسة. وكان صعصعة بن ناجية شاعرا وهو الذي يقول:

إذا المرء عادى من يودك صدره ... وكان لمن عاداك خدناً مصافيا
فلا تسألن عما لديه فإنه ... هو الداء لا يخفى بذلك خافيا

ويروى أن غالب بن صعصعة والد الفرزدق وفد على الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقال له : إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه، فقال له الإمام علي: علمه القرآن، فوقر ذلك في نفس الفرزدق، فقيد نفسه في وقت وآلى على نفسه، لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه.

**نعم المال الإبل :**

سأل الرسول ﷺ قيس بن عاصم عن ماله ؟ فقال قيس: الإبل يا رسول الله. فقال ﷺ: «**نعم المال الإبل، الأربعون، والأكثر الستون، وويل لأصحاب المئين ـ ثلاثاً ـ إلا من أعطى من رسلها أي لبنها ، وأطرق فحلها أي خصصه للقاح الإبل، وأفقر ظهرها أي لا يمنع إعارتها لغيره، ومنح غزيرتها، أي أعارها لمن يحلبها، ويأخذ لبنها ثم يردها، وأطعم القانع والمعتر، القانع الذي يقنع بما يعطى من غير أن يسأل، والمعتر الذي يتعرض للسؤال**».

فقلت له : يا رسول الله ﷺ: ما أكرم هذه الأخلاق إنه لا يحل بالوادي الذي أنا فيه من كثرتها، قال: «**فكيف تصنع في الإطراق؟**». قلت: يغدو الناس، فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به، وقال : «فكيف تصنع في الإفقار؟».

فقلت إني لأفقر الناب المدبرة ـ الناقة المسنة الكبيرة ـ والضرع الصغيرة، قال: «**فكيف تصنع في المنيحة؟**». قلت: إني لأمنح في السنة المائة، قال رسول الله ﷺ: «**إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت**».

**قيس بن عاصم يحرم الخمر:**

حكى ابن دريد محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي حاتم، قال:جاور داريٌّ أي من الداريِّين، وكان يتجر في أرض العرب قيس بن عاصم، فشرب قيس بن عاصم ليلة حتى سكر، فربط قيس بن عاصم الداريّ وأخذ ماله، وشرب من شرابه فازداد سكراً، فأخذ منه السكر كل مأخذ، وجعل بسبب السكر يتطاول ويثاور النجوم ليبلغها ، وليتناول القمر وقال:

وتاجر فاجر جاء الإله به كأن عثنونه أذناب أجمال

قال: فلما فعل بالداريّ ما فعل بسبب السكر، جعل ماله نهبى، فلم تزل امرأته تسكِّنه وتهديه، إلى أن أخذه النوم فنام،ولما أصبح أخبر بما كان منه، فآلى ألا يشرب الخمر، وألا يدخل بين أضلاعه أبداً. ومن قول قيس بن عاصم حين

حرم شرب الخمر:

وجـدت الخمـر جامحة وفيها خصـال تفضح الرجـل الكر يما
فـلا والله أشـربهـا حـياتـي ولا أدعـو لهـا أبـداً نـديـما
ولا أعطـي بـهـا ثمنـاً حـياتـي ولا أسقي بهـا أبـداً سقيمـا
فـإن الخمـر تفضح شـاربيها وتجشمهم بهـا أمـراً عظيمـا
إذا دارت حـميـاهـا تعـلـت طـوالـع تسفه الرجل الحليما

وقال أيضا :

فو الله لا أحسو يد الدهر خمرة ولا شربة تزري بذي اللّب والفخر
فكيف أذوق الخمر والخمر لم تزل بصاحبها حتى تكسع في الغـدر
وصارت به الأمثال تضرب بعدما يكون عميد القوم بالسر والجهر
ويبدرهم في كـل أمر ينوبهـم ويعصمهم ما نابهم حادث الدهر
فيـا شـارب الصهباء دعـها لأهلها الغواة وسلم للحسيم من الأمـر
فإنك لا تدري إذا مـا شـربتها وأكثرت منها ما تريـش ومـا تبر

**إسلام قيس بن عاصم :**

قال الأحنف بن قيس أبو بحر سيد تميم: ذكرت بلاغة النساء عند زياد فحدثته أن قيس بن عاصم أسلم، وعنده امرأة من بني حنيفة، فأبى أهلها وأبوها أن يسلموا، وخافوا إسلامها، فأجمعوا إليها وأقسموا أنها إن أسلمت لم يكونوا معها في شيء ما بقيت.

فطالبت زوجها قيساً بالفرقة،ففارقها، فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيس: أما والله لقد صحبتني سارة، ولقد فارقتني غيرعارة، ولا صحبتك مملولة، ولا أخلاقك مذمومة، ولولا ما اخترت ما فرق بيننا إلا الموت، ولكن أمر الله ورسوله ﷺ، أحق أن يطاع ويتبع.

فقالت له: أنبئت بسحبك، وفضلك، وأنت والله إن كنت للدائم المحبة الكثير المودة،القليل الأئمة، المعجب الخلوة، البعيد النبوة، ولتعلمن أني لا أسكن بعدك إلى زوج، فقال قيس: ما فارقت نفسي شيئاً قط فتبعته كما تبعتها.

**سوق عكاظ:**

لقد كان للعرب أسواق في الجاهلية، يقصدها في مواسم معروفة البلغاء والخطباء والشعراء والتجار، ومنها سوق عكاظ، وقد حضر الرسول ﷺ سوق عكاظ قبل مبعثه، وكان ممن رآهم الرسول قس بن ساعدة الأيادي حكيم العرب، وهو يخطب خطبته التي يقول فيها: أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هوآت آت، ليل داج وسماء ذات أبراج، وبحار تزخر، ونجوم تزهر، وضوء وظلام، وبر وأنام ومطعم ومشرب، وملبس ومركب، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون،أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا.

وقال قس بن ساعدة: ما على وجه الأرض دين أفضل من دين أظلكم زمانه وأدرككم أوانه، (يقصد بذلك الدين الإسلامي) فطوبى لمن أدركه فاتّبعه، وويل لمن خالفه.

يقصدها من يطلب بثأر لعله يجد فيها غريمه فيأخذ بثأره،ويقصدها من يريد إعانة على فداء أسير، أو انتصار من ظالم، وهكذا.

وكان النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، أبو أمامة تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء، فتعرض عليه أشعارها، فيحكم بالسبق لصاحب أحسن قصيدة. وكان حسان بن ثابت والأعشى والخنساء وغيرهم ممن يعرض شعره عليه،وكان الجميع يرضي بحكمه.

**البذل في فك الأسرى:**

يحكى أن رجلين من هوازن جاورا في بني مرة بن عوف،وكانا قد أصابا دماً في قومهما، ثم إن قيس بن عاصم المنقري التميمي، وكان سيد تميم، ولما وفد على النبي ﷺ بسط له رداءه، وقال :هذا سيد الوبر.

أغار قيس بن عاصم على بني مرة فأصاب واحداً منهما في عدة أسارى كانوا عندهم، ففدى كل قوم أسيره من قيس بن عاصم، وبقي الهوازني لم يأت أحد لفدائه.

فاستغاث للهوازني أخوه ببني مرة بسنان بن أبي حارثة، والحارث بن عوف، والحارث بن ظالم، وهاشم بن حرملة والحصين بن الحمام،فلم يغيثوه.

فركب أخو الهوازني، إلى موسم عكاظ، فأتى منازل مذحج ليلاً ونادى قائلاً:

دعوت سناناً وابن عوف وحارثاً وعاليت دعوى بالحصين وهاشم
أعيذ هم في كل يوم وليلة بترك أسير عند قيس بن عاصم
حليفهم الأدنى وجار بيوتهم ومن كان عما سرهم غير نائم
فصموا وأحداث الزمان كثيرة وكم في بني العلات من متصام
فيا ليت شعري من لإطلاق غلمة ومن ذا الذي يحظى به في المواسم؟

فسمع الشاعر صوتاً منبعثاً من الوادي منشداً بهذه الأبيات فقال:

ألا أيّهذا الذي لم يجب عليك بحي يجلي الكرب
عليك بذا الحي من مذ حج فإنهم للرضا والغضب
فناد يزيد بن عبد المدان وقيساً وعمرو بن معد يكرب
يفكوا أخاك بأموالهم وأقلل بمثلهم في العرب
أولاك الرؤوس فلا تعدهم ومن يجعل الرأس مثل الذنب

فاتّبع الصوت فلم ير أحداً، فذهب إلى المكشوح قيس بن عبد يغوث المرادي فأخبره خبره ،فقال له قيس: والله إن قيس بن عاصم ما قارضته معروفا قط، ولا هو لي بجار، ولكن أشر أخاك منه وعليّ الثمن،ولا يمنعك غلاؤه.

ثم ذهب أخو الهوازني إلى عمرو بن معد يكرب، فقال له عمرو: هل بدأت بأحد قبلي؟ فقال: نعم: بدأت بقيس بن عبد يغوث، فقال: عليك به، فهو أحق بذلك إذ بدأت به فتركه.

ثم أتى الشاعر يزيد بن عبد المدان، فأخبره بقصته وما حصل له حتى وصل إليه، فقال له يزيد: مرحبا بك وأهلاً، إبعث إلى قيس بن عاصم، فاستوهبه أخاك، فإن هو وهبه لي شكرته، وإلا أغرت عليه حتى يتقيني بأخيك، فإن نلتها، وإلا دفعت إليك كل أسير من بني تيم بنجران، فاشتريت به أخاك، فقال أخو الهوازني: رضيت بذلك.

فأرسل يزيد بن عبد المدان إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات:

يا قيس أرسل أسيراً من بني جشم إني بكل الذي تأتي به جازي
لا تأمن الدهر أن تشجى بغصته فاختر لنفسك إحمادي وإعزازي
فافكك أخا منقر عنه وقل حسناً فيما سئلت وعقبه بانجازي

وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم المنقري التميمي، فأنشده، ثم قال يا أبا علي: إن يزيد بن المدان يقرأ عليك السلام، ويقول لك إن المعروف قروض، ومع اليوم غد، فأطلق إليه هذا الجشمي، فقد استعان بأشراف بني مرة، وبعمرو ابن معد يكرب، وبمكشوح المرادي فلم يصب عندهم حاجته،فاستجار بي، ولو أرسلت إليَّ في جميع أسارى مضر لقضيت حاجتك.

فقال قيس بن عاصم لمن حضر من بني تميم: هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيد مذحج، وابن سيدها، ومن لا يزال له فيكم يد، وهذه فرصة لكم فما ترون؟.

قالوا: نرى أن تغليه عليه ونحكم فيه شططاً، فإنه لن يخذله أبداً، ولو أتى ثمنه على ماله كله، فقال قيس بن عاصم: بئس ما رأيتم، أما تخافون سجال الحروب ودول الأيام، ومجازاة القروض؟.

فلما أبوا عليه قال لهم: اشتريه منكم، فأغلوه عليه،فتركه في أيديهم، وكان الهوازني أسيراً في يد رجل من بني سعد فخذ من بني تميم، وبعث إلى يزيد بن عبد المدان، فأعلمه بما جرى، وأن الأسير لو كان في يده أو يد منقر لأخذه وبعث به إليه، ولكنه في يد رجل من بني سعد.

فأرسل يزيد بن عبد المدان إلى السعدي يطلب منه القدوم بأسيره ويحكمه فيما يطلب لإطلاق الأسير، فأتى السعدي يزيد بن عبد المدان، فقال له يزيد: احتكم، فقال السعدي: أطلب مائة ناقة ورعاءها، فقال له يزيد: إنك لقصير الهمة، قريب الغنى، جاهل بأخطار بني الحارث، أما والله لقد غبنتك يا أخا بني سعد، ولقد كنت أخاف أن يأتي ثمنه على جل أموالنا، ولكنكم يا بني تميم قوم قصارى الهمم، فأعطاه ما احتكم،فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا بنجران.